الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة وضواحيها) قراءة في الدوافع والمراحل

أ. رضوان شافو

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية

المركز الجامعي بالوادي

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

ملخص:

يتناول هذا المقال صورة من صور التوسع الاستعماري نحو عمق الصحراء الجزائرية في الخمسينات من القرن التاسع عشر، ويخص منطقة ورقلة وضواحيها كنموذج للدراسة، حيث تعرضت هذه المنطقة الى الاحتلال الفرنسي سنة 1853 بعد المقاومة الشرسة التي ابداها اهالي المنطقة، ويسعى هذا المقال الى ابراز اهم الدوافع الحقيقية لاحتلال ورقلة، واهم الوسائل الاحتلال ومجريات التوسع وبسط النفوذ.

مقدمة:

لقد عرفت الجزائر منذ سنة 1830م أبشع استعمار أوروبي عرفه التاريخ حيث تعرضت لاحتلال عسكري من طرف القوات الفرنسية بعد أن اختلقت الذرائع، وقدمت تبريرات واهية لعملية الاحتلال، حتى تضفي الشرعية على استعمارها للجزائر، وعقب سقوط مدينة الجزائر وإمضاء معاهدة الاستسلام، عملت على التوسع والتغلغل نحو المناطق الداخلية، وصولاً إلى عمق الصحراء الجزائرية، وقد اعتقدت السلطة الاستعمارية أنها ستحقق أهداف مشروعها التوسعي في ظرف أيام قلائل ،غير أن المشروع الاستعماري تأخر إلى بداية العقد الأول من القرن العشرين حتى استطاع بسط نفوذه وسيطرته على كافة المناطق الجزائرية في كل اتجاهاتها.

وللإشارة فإن التوسع الفرنسي نحو الجنوب كان لتحقيق عدة أهداف استعمارية، يأتي في مقدمتها ربط المستعمرات الفرنسية في إفريقيا ببعضها البعض، وتسهيل عملية تنقل الجيش الفرنسي، والسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية،ولتحقيق هذه الأهداف استخدمت السلطة الاستعمارية عدة وسائل استخبارتية، أهمها البعثات العلمية الاستكشافية والتي زادت من الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري،

وعجّلت من عملية الغزو العسكري للجنوب الجزائري، خاصة بعد استفادتها من التقارير الاستخبارتية الجغرافية والحضارية للصحراء الجزائرية.

دوافع الغزو الفرنسي :

لا شك أن سقوط واحة الزعاطشة سنة 1849م في يد القوات الفرنسية بمنطقة الزيبان ، زاد من شهية السلطة الاستعمارية للتوسع نحو مناطق الجنوب الجزائري التي لازالت لم تخضع للفرنسيين، وهذا لتحقيق عدة أهداف إستراتجية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، ولعل الحديث عن الدوافع الحقيقة لاحتلال ورقلة لا يخرج عن نطاق دوافع التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، إلا أننا سنحاول جمع وحصر أهم الدوافع الخاصة باحتلال ورقلة وضواحيها في النقاط التالية:

1- دور الدراسات العلمية الفرنسية المنشورة والمخطوطات العربية للرحالة المسلمين والمترجمة إلى الفرنسية، والتي اهتمت باكتشاف الصحراء الجزائرية، شجع السلطة الاستعمارية على الإسراع في احتلال الواحات الصحراوية، واهم هذه الدراسات نجد " الصحراء الجزائرية" ليوجين دوماس *Daumas* التي نشرها سنة 1845م بطلب من المارشال بيجو، وهذه الدراسة عبارة عن خلاصة الدراسات المتبعة خلال أكثر من عشر سنوات من طرف المديرية المركزية للشؤون العربية، بالإضافة إلى مجموعة حوارات وشهادات لأكثر من مائتين شخص(200) من السكان الأصليين للصحراء الجزائرية، زيادة على ذلك قام بيربروجر سنة 1846م بترجمة مخطوطي "رحلة العياشي" خلال القرن السابع عشر الميلادي(17م)، ورحلة مولاي احمد خلال القرن الثامن عشر الميلادي(18م)، اللذين سافر من المغرب إلى ليبيا عن طريق الواحات الصحراوية الجنوبية، مع الاستفادة العلمية والاقتصادية والجغرافية في نفس الوقت من المسافرين القادمين من الجنوب الشرقي نحو الشمال في إطار التجارة، بل وطالب بعض الرحالة الفرنسيين بإنشاء مدرسة تطبيقية للمستكشفين المحليين.[1]

2- يبدو لي أن ظهور شخصية المارشال راندون *Randon* على الساحة السياسية والعسكرية كحاكم عام بالجزائر (1851- 1858م)، كان احد الأسباب القوية التي عجلت باحتلال ورقلة، هذه الشخصية

[1] Augustin Bernard et N.Lacroix ,Op.Cit, pp 6-7

التي كانت تؤمن بفكرة الاختراق الصحراوي لتحقيق الأمن والاستقرار للمعمرين والمستكشفين والقوات الفرنسية، حيث يقول: " ينبغي علينا أن نكون سادة في كل مكان، وإلا فلن نأمن في أي مكان"[2]، وبالتالي فإن احتلال منطقة ورقلة كان ضمن المشاريع الاقتصادية والعسكرية العاجلة في سياسة راندون *Randon*.

3- سوء العلاقة بين الشريف محمد بن عبد الله والسلطة الفرنسية في أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي (19م) بمنطقة الغرب الجزائري جعل السلطة الاستعمارية تعجل في عملية احتلال الجنوب الشرقي، خشية من أن يجدد محمد بن عبدالله المقاومة ضدها، مع العلم أن فرنسا أصبحت لديها قناعة راسخة بأن أية مقاومة شعبية تفشل في مناطق الشمال، فمناطق الجنوب الجزائري تتحول إلى معاقل للثوار وملجأ للمقاومين بغية جمع أنصار جدد وتنظيم المقاومة الشعبية من جديد، مع الإدراك أن حلفاء الأمير عبد القادر كانوا قد وضعوا قواعد للمقاومة، وبالتالي فقد وجدت فرنسا عند توغلها لمناطق الجنوب صعوبة كبيرة لبسط نفوذها بسبب المقاومة الشديدة التي أبداها السكان، وعلى الخصوص منطقة ورقلة وضواحيها، فالاحتلال العسكري كان قد تم سنة 1854م، ولم يتم الإخضاع الكلي لها إلا في سنة 1882م.

4- عدم الاستقرار السياسي واستحكام الصراعات القبلية بين مختلف التشكيلات الاجتماعية لمنطقة ورقلة وضواحيها دفعت بالسلطة الاستعمارية إلى استغلال هذه الصراعات وتطبيق سياسة فرق تسد، وتحريضهم عليه وانتصارهم لقبيلة دون الأخرى، لأنهم وجدوا في الإبقاء على هذه النزاعات خير وسيلة لاحتلال ورقلة وبسط نفوذهم عليها، فعلى سبيل المثال فقد تعاقب على سلطنة ورقلة في ظرف إحدى عشرة سنة (1840-1851م) ستة سلاطين وهم : مولاي الطيب ، ومولاي الذهبي ، ومولاي عبد القادر، ومولاي علي الذي اغتيل بعد ستنين من حكمه، ثم حكم مولاي مسعود الذي حكم ثلاثة أيام فقط ، وكان آخرهم مولاي احمد الذي حكم لمدة شهرين فقط[3].ناهيك عن مشيخة نقوسة التي تعاقب على حكمها في هذه الفترة شيخين وهما : الشيخ الحاج احمد بن بابية،وابنه الشيخ أبو حفص بن بابية.

---

[2] Ibid , p2

[3] Gouvernement Général de L'Agérie **, « Notes… »**, Op.Cit, p392

زيادة على ذلك العلاقات المصلحية بين أعداء سلطنة ورقلة والفرنسيين دفعت بالإدارة الاستعمارية إلى تكوين عملاء وموالين لها في المنطقة، وذلك لتسهيل عملية الاحتلال العسكري ، واهم مظاهر هذا الاستغلال حثّ بعض القبائل الموالية للفرنسيين على محاصرة القبائل المعادية للتواجد الفرنسي،واستخدام الشيخ سي حمزة ولد بوبكرقائد أولاد سيدي الشيخ على التدخل في شؤون المنطقة سنة 1847م، واحتلال ورقلة عام 1853م باسم السلطات الفرنسية بعد معركة انتصر فيها على الشريف محمد بن عبد الله في عرق بوسروال جنوب ورقلة.

هذا بالإضافة إلى تدعيم احمد بن بابية شيخ نقوسة سنة 1849م لإخضاع ورقلة مقابل تأدية ضريبة اللَزمة، وفي 20 نوفمبر من نفس السنة منحت السلطة الفرنسية لقب الخليفة للحاج احمد بن بابية، وأرسلت إليه 200 فارس لإقرار سلطته على ورقلة، بل تواصلت الإمدادات العسكرية إلى غاية 1850م.[4]

5- في نظر بعض الساسة الفرنسيين أن احتلال ورقلة سيمكن الجيش الفرنسي من استكمال عملية التوغل العسكري إلى عمق الصحراء الجزائرية، وذلك باعتبارها منطقة عبور بين الشمال والجنوب من جهة، وباعتبارها بوابة أساسية نحو بلاد السودان من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير السؤال المطروح: لماذا فضلت فرنسا احتلال الاغواط سنة 1852م، وعقد اتفاقية مع وادي ميزاب سنة 1853م، ثم احتلال ورقلة سنة 1854م ، على احتلال وادي ريغ ووادي سوف على الرغم أنهما اقرب نقطة إلى منطقة الزيبان والتي كانت الانطلاقة الأولى للتوسع الفرنسي نحو الصحراء الجزائرية؟

الأكيد أن هذا التفضيل يدخل ضمن نطاق الإستراتيجية العسكرية الفرنسية، حيث صرح الجنرال راندون *Randon* لوزير الحربية بعد احتلال الاغواط سنة 1852م : " عن طريق الاغواط سنتمكن من التوغل داخل الجنوب في إطار السيطرة على كامل الجزائر".[5]

6- الموقع الاستراتيجي لورقلة جعل هذه الأخيرة تحضى بأهمية كبيرة عند المستكشفين الفرنسيين، وذلك بكونها همزة وصل بين الجزائر وبلاد السودان، وبالتالي كان لابد من السيطرة على هذه المنطقة وإخضاعها

---

[4] Trumelet , Op.Cit, p32

[5] Paul Azzan,**Conquete et Pacification de L'Algérie**, paris, p 341

للنفوذ الفرنسي حتى تصبح محطة أساسية لانطلاق البعثات الاستكشافية العلمية والحملات العسكرية نحو عمق الجنوب الجزائري ونحو إفريقيا الوسطى والغربية. هذا بالإضافة إلى أن ورقلة كانت تمثل مخزنا" لدلال الطرق الصحراوية" وخاصة من القبائل البدوية وفي مقدمتهم قبائل سعيد عتبة والشعانبة، وهذا ما لاحظناه من خلال البعثات التي وصلت إلى ورقلة، فلا تكاد أية بعثة استكشافية تخلوا من أهالي ورقلة العارفين بمسالك الطرق الصحراوية الرابطة بين ورقلة والجريد التونسي، وورقلة وغدامس، وورقلة وبلاد السودان.

كما أن الموقع دفع بالسلطة الاستعمارية إلى حد التفكير بمد خط سكة حديدية بغية ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض، ولتسهيل مهمة تنقل الوحدات العسكرية بالصحراء من جهة ، ولضمان الأمن والاستقرار للمستكشفين الذين كانوا يتعرضون للهجوم من حين إلى آخر من جهة ثانية، وقد أشار الرحالة لارجو *Largaux* إلى أهمية هذا الخط حين اقتنع بأن مخطط السكة الحديدية العابرة للصحراء إلى حد النيجر يجب أن ينطلق من بسكرة مارا بتقرت وورقلة.[6]

7- التوسع الاستعماري البريطاني بإفريقيا في إطار التنافس الدولي حول مناطق النفوذ دفع بفرنسا إلى التعجيل لإخضاع الجنوب الجزائري بما فيها منطقة ورقلة، لكون هذه الأخيرة منطقة حدودية مع تونس وليبيا هذا من جهة،ومنطقة عبور للقوافل التجارية من جهة أخرى.ومن جهة ثالثة في نظر الفرنسيين محاولة تفادي تكرار الخطأ العسكري الذي وقعت فيه السلطة الاستعمارية حين سمحت بتحول الجنوب الجزائري إلى معاقل للمقاومين الجزائريين الذين فشلت مقاومتهم في الشمال، وبالتالي فان السيطرة على مناطق الجنوب الشرقي الجزائري سيكون صمام آمان وقبضة حديدية للجيش الفرنسي ضد المقاومين التونسيين الفارين من الشمال في حالة ما إذا احتلت تونس عن طريق البحر المتوسط.

مراحل الغزو الفرنسي لورقلة: لقد مرت عملية سقوط منطقة ورقلة في أيدي قوات الاحتلال الفرنسي بثلاثة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: البعثات الاستكشافية والحملات الاستطلاعية:

---

[6] دوني بيلي، المرجع السابق،ص 18.

كانت أولى البعثات الاستكشافية إلى ورقلة بعثة الرحالة الجنرال دوماس*Daumas* الذي زار المنطقة سنة 1842م،حيث حدد موقعها الجغرافي، ووصف مدينة ورقلة والقصبة، وحدد أبواب المدينة، كما وصف بيوتها وعدد الديار، والمواد البناء المستعملة من البن وجذع النخل وسعفه،وأشار إلى مختلف قبائل المجتمع الورقلي ونشاطهم، والى مختلف العملات المتداولة في الأسواق، فضلا عن ذكر عمليات التبادل التجاري الداخلي والخارجي ، واهم المنتجات الصادرة والواردة ، كما تطرق إلى قصر نقوسة بوصف نمطه العمراني، وحدد عناصر سكانه ، وعدد دياره، وتعداده السكاني .[7]

كما حضّيت ورقلة بزيارة أدريان بربروجر*A.Berbrugger* عام 1850م في إطار استكشاف الخط الصحراوي، وكانت انطلاقته من قابس، وشملت رحلته واحات وادي سوف ووادي ريغ وورقلة والمنيعة وتوات،ثم عاد إلى مدينة الجزائر عن طريق بلاد الشعانبة متليلي ووادي ميزاب.[8]

واستعرض ترومیلي T*rumelet* من خلال زيارته لورقلة سنة 1853م قصبة ورقلة، واصفا نمطها العمراني، وأعراشها الثلاثة: بني سيسين، وبني وقين ، وبني ابراهيم، وحدد أبواب المدينة، وأشار إلى عدد السكان ونشاطاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، ومختلق قرى وقبائل ورقلة، وتكلم بتفصيل عن أسرة أولاد بابية شيوخ نقوسة من خلال أصولهم، وسياستهم، وعلاقتهم بالفرنسيين، وصراعهم مع سلطنة ورقلة، كما تطرق إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ضد الفرنسيين.[9]

كما قام اوغيست شوازي[1] *Auguste.Choisy* برحلة خاصة إلى الاغواط والقليعة وورقلة ووادي ريغ وبسكرة لدراسة إمكانية مد طريق حديدي بين الجزائر والنيجر.[10]وفي إطار المشاريع الفرنسية الهادفة إلى ربط المستعمرات الفرنسية الإفريقية بالصحراء الجزائرية،مشروع كاباني*Cabanis* الذي طرح سنة 1853م

---

[7] Daumas, Op.Cit.pp 72-88.

[8] A.Berbrugger , **Projet D'exploration des Oasis Algérienne** , **par Gabès Souf** , **Ouargla** ,**Touat**, **et Retour par Metlil et les Oued Mzab** ,Alger , s.d ,p 8 .

[9] C.Trumelet, Op.Cit , pp 32 -498

[10]Auguste.Choisy, **Le Sahara. Souvenir d'une Mission à Goléa**.Paris.1881.p290

والذي سيمتد من الجزائر إلى بوسعادة وورقلة على أن يتفرع ذلك إلى فرعين: واحد إلى تونس وطرابلس، والآخر إلى عين صالح والهقار.[11]

وقام الرحالة كوسونCosson برحلات في الجنوب الجزائري عام 1859م بدعم من وزارة الحرب التي كان يرأسها المارشال فايان *fayane*، وقد استطاع أن يستكشف الصحراء الجزائرية من الشرق إلى الغرب، وحتى أقصى الحدود الجنوبية، وجمع وثائق كثيرة وجدها بالمنطقة، كما ودرس السطح والمناخ السائد والمياه الجوفية، والحيوانات المتوفرة والنباتات البرية، والمزروعات من خضر وفواكه وركز على النخيل، واستخلص أنواع التمور، وشملت دراسته كل الصحراء الجزائرية ومناطقها بما فيها ورقلة معتمدا على أعمال ما كتبه الرحالة السابقون ومنهم الجنرال دوماس*Daumas*[12]. كما تحدث باجول ***Bajolle*** عن التكوين الجغرافي والطبوغرافي والآبار المائية لصحراء ورقلة ومن وادي مية إلى وادي ايغرغار.[13]

وفي مطلع الستينات زار الرحلة هنري دوفرييH.Duveyrier ورقلة وهو في طريقة نحو بلاد الهقار قادما من تونس عن طريق وادي سوف ووادي ريغ، حيث مكث يوما واحد استكشف فيه مدينة سدراتة الأثرية. [14] كما زار أيضا المهندس الفرنسي فيل*L.Ville* ورقلة خلال هذه الفترة، وقد شملت دراسته الآبار التقليدية الارتوازية القديمة، متخذا من بئر عين الصفا نموذجا لبحثه.[15]

هذا ونشير أيضا انه في مطلع الثمانيات وقبل استقرار الفرنسيين تواصلت البعثات الاستكشافية إلى ورقلة لاستكمال مهمتها التجسسيَّة ، ومنها بعثة الرحالة اوغيست شوازي*Auguste.Choisy* إلى الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1879م و1880م ليتفقد مشروع سكة الحديد الذي سيربط بين الجزائر والنيجر والسنيغال،ماراً ببسكرة ووادي ريغ وورقلة والاغواط والمنيعة، وقد تكونت هذه البعثة من:

---

[11] F.Cabanis,**Grand Chemin de Fer d'Afrique**, Paris ,1853 p 32

[12] E.Cosson , **Considération Général sur le Sahara Algérien et ses Cultures** , Paris , 1859 , pp02-23

[13] Le Capitaine Bajolle, **Le Sahara d'Ouargla**,**de Oued Mia**, **à l'Oued Igharghar**, Alger,1887,p55

[14]P.Vuilot **, L'exploration du sahara(étude historique et geographique)** , libraire coloniale, paris, 1895, p64.

[15] M.Van Berchem, **sedrata et les anciennes villes berberes du sahara dans les recits des explorateurs de XIX siecle** , paris, 1960,p 293

المهندس شوازي *Choisy* ، المهندس باروا *Barois* مدير الطرق والجسور،جورج رولان*G.Roland* مهندس في المناجم، والدكتور ويسجيربر *Weisgerber* المكلف بالجانب الانتروبولوجي والتصوير ،الملازم ماسوتي *Massautier* نائب رئيس المكتب العربي بالاغواط ، وباسكال جوردن *Pascal Gaurdan*، وديسكام *Descamps* وباش*Pech* ممثلي قطاع السكة الحديدية بفرنسا [16]،وقد قامت هذه البعثة في ورقلة بدراسة طبوغرافية وجيولوجية وطبية، حيث درست تربتها وكثبانها الرملية، ومياهها الجوفية ، ونباتاتها الطبيعية ،واهم الأمراض المنتشرة في المنطقة، كما زارت المناطق الأثرية الموجودة بها ،وقد اقترحت البعثة في دراستها لمد خط السكة الحديدية من الجزائر إلى السودان، فتح خط من الاغواط إلى القليعة، وخط من بسكرة إلى ورقلة والهقار، واعتبر شوازي *Choisy* أن هذا المشروع أحسن من المخطط الذي اتخذه في الجنوب الوهراني.[17]

المرحلة الثانية: الاحتلال العسكري لورقلة :

على ذكر الدوافع السالفة الذكر وقع الاحتلال الفرنسي على ورقلة، وهذا بعد ما تم تعيين محمد بن عبدالله سلطانا على ورقلة منذ سنة 1851م، إذ عمل على استتباب الأمن،والقضاء على الصراعات المحلية التي كانت قائمة بين القبائل البدوية والأسرة الحاكمة، وتحقيق الاستقرار السياسي، ومحاولة توجيه الأنظار من المجال الضيق إلى المجال الواسع ، والاستعداد لمواجهة خطر الاحتلال الفرنسي،وعليه فقد أخد يعد العدة والعتاد، ويجمع الأتباع والأنصار،واستمالة القبائل الموالية للفرنسيين، وبات يهدد التواجد الفرنسي بالمنطقة خاصة وأنَّه دخل معهم في أول معركة يوم 22 ماي 1852م بمنطقة متليلي.[18]

وأمام هذه التهديدات ما كان من السلطة الاستعمارية إلا الإسراع في إخضاع منطقة ورقلة والسيطرة عليها قبل أن تتحول إلى قاعدة ثورية للمقاومة الشعبية، وعلى اثر الإجراءات التي اتخذها الحاكم العام راندون*Randon*، قام بتجهيز ثلاث فرق عسكرية الأولى قادمة من وهران بقيادة الجنرال يوسف والجنرال بلييسي *Bellissier* وماكماهون *Mac Mahon* [19].وفي المقابل لم يكترث الشريف محمد بن

[16] P.Vuilot ,Op.Cit, p 175
[17] A.Choisy, Op.Cit.p290
[18] Rapport du mois Septembre 1853.Cercle de Biskra. A.O.M. F80 501.
[19] E.Mangin , Op .Cit. ,pp 290-318

عبد الله بهذه الإمدادات العسكرية، بل واصل هجوماته على الفرنسيين والموالين لهم ،وكبدهم خسائر كبيرة، الأمر الذي دفع بالسلطة الاستعمارية إلى الاستنجاد بعملائها في المنطقة وفي مقدمتهم سي حمزة ولد بوبكر الذي عينوه خليفة على المنطقة الممتدة ما بين الجلفة والحدود المغربية كمكافأة له على اشتراكه في إخضاع منطقة الاغواط سنة 1852م.فانطلق مدعما من الفرنسيين بقوات قدرها 2000 فارس و200 من المشاة[20]، وسار نحو مدينة نقوسة، حيث اخضع في طريقة قصر متليلي ووادي ميزاب إلى أن وصل نقوسة فأخضعها له في 5 ديسمبر 1853م، رفقة الفرق العسكرية الفرنسية التي لحقت به بقيادة ديريو*Durieu*، وبارال *Du Barail*، ونيقو *Niqueux*، وبعد مرابطة دامت حوالي اثنان وخمسون يوما(52) بنقوسة ،سار سي حمزة ولد بوبكر نحو ورقلة رفقة العقيد ديريو *Durieu* على رأس 650 من المشاة، و300 من الفرسان لاحتلالها، ودخل في معارك طاحنة ضد الشريف محمد بن عبدالله خاصة في منطقة الرويسات، إذ انهزم الشريف محمد بن عبد الله في يوم 27 جانفي 1854م، وتم إخضاع كل قرى ومداشر ورقلة، وانسحب على إثرها نحو تونس لاسترجاع أنفاسه من جديد.[21]

بعدها دخل الكولونيل ديريو *Durieu*[22] ليعلن باسم فرنسا احتلال ورقلة، مع إلزام سكانها بتقديم ضريبة سنوية تقدر بألفي فرنك(2000ف) للسلطة الفرنسية[23].إلا أن الجيش الفرنسي لم يستقر بالمنطقة ونصب عملاؤه بنيابة عنه،مع ترك حامية عسكرية مشكلة من مائة جندي(100)، وتجريد السكان من أسلحتهم، بالإضافة إلى أخد من كل قرية مجموعة من الشخصيات ذات مكانة في مجتمعهم،ووضعهم

---

[20] Ibid, p32

[21]Alain Romey, **Histoir, Mémoire et Societes, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan,paris,1992, p75

[22] *Durrieu (François-Louis-Alfred, baron)*: جنرال فرنسي من مواليد 18 جانفي 1812م، انخرط في مدرسة هيئة الأركان العسكرية وتخرج منها برتبة نقيب سنة 1836م،وفي سنة 1854م ترقى إلى رتبة عقيد،كما تحصل على وسام الشرف في 10 أكتوبر 1851م، إضافة إلى عمله العسكري اهتم بالجانب العلمي حيث انخرط في جمعية الأعمال الطبوغرافية بالجزائر، وقد توفي في 27 ديسمبر 1877م، ينظر:

Narcisse Faucon,Op.Cit.p242

[23] C.Trumelet, Op.Cit , p 476

تحت الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة، وهي سياسة اعتادت السلطة الاستعمارية استخدامها بعد احتلال أية منطقة في الجنوب،وهذا ما حدث أيضا بعد احتلال تقرت في نهاية 1854م.[24]

المرحلة الثالثة: الاستقرار النهائي للفرنسيين بورقلة

بعد سقوط مدينة ورقلة في يد القوات الفرنسية سنة 1854م، غادرت هذه الأخيرة باتجاه منطقتي وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الغزو الاستعماري،تاركة عملائها يحكمون البلاد، حيث نصبت سيي زبير ولد بوبكر آغا على ورقلة[25] ، صاحب غصن البان ذكر بأن الفرنسيين بعد احتلال ورقلة نصبوا علي باي.

غيران الوضع الأمني لم يستقر في ورقلة مما دفع بالقوات الفرنسية العودة إلى ورقلة في ذكري عيد المسيح سنة 1857م لاستتباب الأمن وفرض السيطرة من جديد لمدة ثلاث سنوات، ثم عينت سنة 1860م السي زبير ولد بوبكر سيدي الشيخ خليفة على ورقلة، إلا أن هذه الأخيرة تحررت مرة أخرى سنة 1871م من طرف الشريف بوشوشة، ونصب فيها السي الزبير مرة أخرى آغا على ورقلة[26]، وغادر بوشوشة متجها نحو منطقة وادي سوف.لكن القوات الفرنسية عادت مرة أخرى مجهزة بإمدادات عسكرية بقيادة الجنرال دولا كروا *DeLacroix* [27]،وإعادة احتلال ورقلة من جديد في 5 جانفي 1872م،وعلى اثر هذا الاحتلال نصبت السلطة الاستعمارية الملازم محمد بن دريس آغا على ورقلة وتقرت،وطلبت منه ملاحقة الشريف بوشوشة وإلقاء القبض عليه،إلا أنّه في سنة 1877م تم عزل بن دريس بسب ارتكابه العديد من التصرفات التي لا ترضي الفرنسيين، وعينت مكانه الآغا عبد القادر بن عمر، وعلى ما يبدوا أن هذا الآغا الجديد لم يستقر في آغاويته، فبعد ثلاث سنوات قدم استقالته بسبب

---

[24] Rapport du 27 janvier 1855.A.O.M. 10KK32

[25] M.R.Brigol, Op.Cit ,p32

[26] تحول سي الزبير ولد بوبكر سيدي الشيخ من عميل للفرنسيين إلى مقاوم وثائر ضدهم وهذا بعد اندلا ع ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م على خلفية احتقار السلطة الفرنسية لعائلته، والتقصير من شانها، وإلغاء الامتيازات التي كانت تتحصل عليها،وعليه رفع لواء المقاومة إلى جانب أخوه سيي لاعلى، هذا بالإضافة إلى انه كوّن علاقة مصاهرة مع الشريف بوشوشة ،الأمر الذي جعل هذا الأخير يعينه آغا على ورقلة في مكان ناصر بن شهرة سنة 1871م.

[27] دولا لا كروا *DeLacroix*: القائد العام لقطاع قسنطينة خلال السبعينات وأحد الضباط الفرنسيين الذين احتلوا بعض الواحات في جنوب شرق الجزائر ، وكان له دور كبير في مطاردة أولاد مقران إلى الصحراء.

الغزو الفرنسي لتونس سنة 1881م، والذي انعكس على سكان ورقلة بحكم العلاقة الأخوية الموجودة بين الجالية الورقلية بتونس والتونسيين، والتي هاجر إليها الورقليون عقب احتلال ورقلة من جديد سنة 1872م. لتستقر هذه المرة القوات الفرنسية نهائيا عام 1882م بعدما تم تنصيب أول مركز عسكري فرنسي بمنطقة الرويسات تحت قيادة الفريد لوشاتولي*A.Le chatelier*،وفي نوفمبر 1887م تم بناء برج عسكري على يد الهندسة العسكرية في منطقة بني ثور.[28]

خاتمة:

إن هذا الحال الذي كانت عليه منطقة ورقلة جعل هذه الأخيرة تسقط في أيدي القوات الفرنسية سنة 1854م بعد محاولات التحدي والمقاومة التي أبدها سكان منطقة ورقلة، غير أن ضعف الإمكانيات وتواطؤ بعض العملاء حال دون ذلك.الأمر الذي اكسب السلطة الاستعمارية نوعا من الثقة والاطمئنان في ترك مسؤولية استتباب والاستقرار وفرض القوانين الفرنسية لهؤلاء العملاء، والذهاب إلى مناطق صحراوية أخرى لاستكمال عملية التغلغل والتوسع،لكن هذه الثقة والاطمئنانية سرعان ما فقدت من هؤلاء الوكلاء العملاء، بسبب عدم قدرتهم على مواجهة الانتفاضات الشعبية التي حدثت في المنطقة،مما دفع بالقوات الاستعمارية بالعودة إلى منطقة ورقلة الاستقرار بها نهائيا سنة 1882م.

[28]P.Passager, Op.Cit, p105